**( وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)**

[ آل عمران : ١٢١- ١٢٢ ] .

-----------------

( **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ** ) أي : واذكر يا محمد حين خرجت إلى أحد من عند أهلك ، أي : من المنزل الذي فيه أهلك .

( **تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ** ) أي : تنزّل المؤمنين أماكنهم لقتال عدوهم ، وتجعلهم ميْمنة وميسرة حيث أمرتهم .

- وأصل التبوء اتخاذ المنزل ، يقال بوّأته منزلاً : إذا أسكنته إياه .

( **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** ) أي : لما تقولون .

( **عَلِيمٌ** ) بضمائركم .

- **قال ابن كثير** : المرادُ بهذه الوقعة يوم أُحُد عند الجمهور، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، وغير واحد. وعن الحسن البصري: المراد بذلك يوم الأحزاب. رواه ابن جرير، وهو غريب لا يُعَوَّل عليه.

وكانت وقعةُ أحد يومَ السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة .

- **قال ابن عاشور** : ومناسبة ذكر هذه الوقعة عقب ما تقدّم أنّها من أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدّين ، المنافقين ، ولما كان شأن المنافقين من اليهود وأهل يثرب واحداً ، ودخيلتهما سواء ، وكانوا يعملون على ما تدبّره اليهود ، جمع الله مكائد الفريقين بذكر غزوة أحُد ، وكان نزول هذه السورة عقب غزوة أحُد كما تقدّم .

( **إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا** ) عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ) بَنِي سَلِمَةَ وَبَنِي حَارِثَةَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) رواه البخاري .

- والهمّ من الطائفتين كان بعد الخروج لما رجع عبد الله بن أبيّ بمن معه من المنافقين فحفظ الله قلوب المؤمنين فلم يرجعوا وذلك قوله ( والله وليهما ) .

فصورة الفشل : أنهما همتا أن ينصرفا عن رسول الله ﷺ بعد أن تسرب إليهما بعض الجبن والخور ، لكن الله ثبتهما .

( **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ) أي : على الله لا على غيره فليتعمد أهل الإيمان .

والآية دليل على وجوب التوكل .

قال تعالى ( وعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) .

وقال تعالى ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) .

وقال تعالى ( إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) . وقال تعالى ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) .

وقال تعالى ( تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ) .

وقال تعالى ( وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) .

وقال تعالى ( فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) .

وقال تعالى ( وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ) .

وقال ﷺ عن ربه في الحديث القدسي ( يقول تعالى : يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، وكلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، وكلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم ) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**- رحمه الله- عن هذا الحديث الشريف : فيه وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة؛كالطعام ، ودفع المضرة كاللباس ،وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة ، وأنه سبب لدخول الجنة .

**وللتوكل فضائل** :

**أولاً** : أهل التوكل هم أهل محبة الله عز وجل .

قال تعالى ( فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين ) .

**ثانياً** : التوكل من شيم أنبياء الله ورسله وأوليائه .

قال تعالى عن نوح ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ )

وقال تعالى عن هود : ( إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ) .

**ثالثاً** : أهل التوكل هم أهل الإيمان .

قال تعالى ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) .

وقال تعالى ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) أي : وعلى الله وحده فليعتمد ولْيثق المؤمنون .

**قال ابن القيم** : فجعل التوكل شرطاً في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه ، وكلما قوي توكل العبد كان إيمانه أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل ، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد .

**رابعاً** : أهل التوكل هم أهل الجنة .

قال تعالى ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِم ) .

وكما في حديث الباب .

وقال ﷺ ( يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ) . رواه مسلم

حكى النووي في هذا الحديث : أن المراد بهؤلاء القوم هم المتوكلون .

**خامساً** : التوكل على الله مجلبة للرزق .

عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً). رواه الترمذي

**سادساً** : المتوكلون ليس عليهم للشيطان سبيل .

قال تعالى ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) .

**سابعاً** : المتوكلون الله حسبهم وكافيهم .

قال تعالى ( وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) .

قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده ، فقال ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) ، ولم يقل : نؤته كذا وكذا من الأجر ، كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه ، وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً ، وكفاه ونصره . ( بدائع الفوائد ) .

**ثامناً** : أهل التوكل على الله هم أهل العزة والاستعلاء .

قال تعالى ( وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .

قال في الإحياء : أي عزيز لا يذل من استجار به ، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى زمامه وحماه ، وحكيم لا يقصر عن تدبير أمر من توكل على تدبيره .

**تاسعاً** : لا توكل بدون إيمان .

قال تعالى ( وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) .

وقال تعالى ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) .

- من أقوال السالف :

**قال شيخ الإسلام** : وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه ، فإنه مشرك ، قال تعالى ( ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ) .

**وقال** : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .

وقال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه .

**وقال ابن القيم** – رحمه الله – : ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأموراً بإزالته لأزاله .

**قيل لحاتم الأصم** : على ما بنيت أمرك في التوكل ؟ قال : على خصال أربعة :

علمت أن رزقي لا يأكله غيري... فاطمأنت به نفسي .

وعلمت أن عملي لا يعمله غيري... فأنا مشغول به .

وعلمت أن الموت يأتي بغتة... فأنا أبادره .

وعلمت أني لا أخلو من عين الله... فأنا مستحيٍ منه .

قال بعض العلماء لا تتكلن على غير الله فيكلك الله إلى من اتكلت عليه .

قال منصور بن عمار : قلوب المتوكلين أوعية الرضا .

وقال بعضهم : علامة التوكل انقطاع المطامع : أي في الخلق والأسباب .

وقال أخر : التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى العلائق .

**الفوائد** :

١- حسن تدبير الرسول ﷺ في الحرب .

٢-أنه ينبغي للقائد أن يبوئ أمكنة المقاتلين ويعرّف كل واحد منهم مكانه وعمله .

٣- إثبات هذين الاسمين وهما : السميع والعليم .

٤- أن الله سبحانه قد يلطف بالمؤمن حتى يثبته .

٥- منّة الله على هاتين الطائفتين .

٦- وجوب التوكل على الله .

٧- أنه إذا قوي الإيمان قوي التوكل على الله .

( **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)** ) .
[ آل عمران : ١٢٣ ] .

------------

( **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ** ) أي : يوم بدر .

● **قال ابن كثير** : وكان في جمعة وافق السابع عشر من رمضان، من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغَ فيه الشرك وخرَّب محله، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم فرسان وسبعُون بعِيراً، والباقون مُشاة، ليس معهم من العَدَد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبَيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبَيَّضَ وَجْه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله .

( **وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ** ) أي : قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العَدَد والعُدَد؛ ولهذا قال في الآية الأخرى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

● **قال الشنقيطي** : قوله تعالى ( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ) وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم ببدر، وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة، وهي قوله تعالى ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد.

**والجواب ظاهر** : وهو أنّ معنى وصفهم بالذلة هو قلة عَددهم وعُددهم يوم بدر، وقوله تعالى ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) نزل في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وذلك بعد أن قويت شوكة المسلمين، وكثر عَددهم، مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر ، وهو أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العَدد والعُدد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده، كما يشير إلى هذا قوله تعالى ( وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) .

وقوله (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ) ، فإنّ زمن الحال هو زمن عاملها، فزمان النصر هو زمان كونهم أذلة، فظهر أنّ وصف الذلة باعتبار، ووصف العزة والنصر باعتبار آخر، فانفكت الجهة، والعلم عند الله.

● **قال الرازي** : قوله تعالى ( وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ) في موضع الحال ، وإنما كانوا أذلة لوجوه :

**الأول** : أنه تعالى قال ( وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ) فلا بد من تفسير هذا الذل بمعنى لا ينافي مدلول هذه الآية ، وذلك هو تفسيره بقلة العدد وضعف الحال ، وقلة السلاح والمال ، وعدم القدرة على مقاومة العدو ، ومعنى الذل الضعف عن المقاومة ونقيضه العز وهو القوة والغلبة ، روي أن المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ، وما كان فيهم إلا فرس واحد ، وأكثرهم كانوا رجالة ، وربما كان الجمع منهم يركب جملاً واحداً ، والكفار قريبين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الأسلحة الكثيرة والعدة الكاملة .

**الثاني** : لعل المراد أنهم كانوا أذلة في زعم المشركين واعتقادهم ، لأجل قلة عددهم وسلاحهم ، وهو مثل ما حكى الله عن الكفار أنهم قالوا ( لَيُخْرِجَنَّ الأعز مِنْهَا الأذل ) .

● **وقال القرطبي** : (أَذِلة) جمع ذليل، واسم الذل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلاَّ أعِزّة، ولكن نسبتهم إلى

عدوّهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض تقتضي عند التأمل ذِلّتهم وأنهم يُغلبون.

( **فَاتَّقُوا اللَّهَ** ) أي : بهذا النصر الذي نصركم الله يجب عليكم أن تتقوا الله .

والتقوى : اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

( **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ) ( لعل ) هنا للتعليل ، أي : لأجل أن تشكروا الله الذي أنعم عليكم بنصره .

**الفوائد :**

١- امتنان الله على رسوله ﷺ وأصحابه بنصرهم في بدر .

٢-أن النصر بيد الله .

٣-وجوب الاعتماد على الله بالنصر على الأعداء .

٤-أن النصر لا يكون بكثرة العَدَد ولا بقوة العُدَد بل هو من عند الله .

٥- أن مَن منّ الله عليه بنعمة كان ذلك موجباً لتقوى الله .

٦-أن تقوى الله من الشكر لله .

**( إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) )** .

[ آل عمران : ١٢٤ – ١٢٦ ] .

---

( **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ** ) أي : إذ تقول يا محمد لأصحابك أما يكفيكم أن يعينكم الله بإمداده لكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين .

- **قال ابن كثير** : اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بَدْر أو يوم أُحُد؟ على قولين:

**أحدهما:** أن قوله: ( إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ) متعلق بقوله ( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ) ورُوي هذا عن الحسن البصري، وعامر الشعبي، والرَّبِيع بن أنس، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

**قال الرازي** : وهو قول أكثر المفسرين ، أي : أن ذلك يوم بدر .

**فإن قيل:** فما الجمع بين هذه الآية –على هذا القول–وبين قوله تعالى في قصة بدر ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )

**فالجواب:** أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: ( مُردِفِينَ ) بمعنى يَرْدَفُهم غيرُهم ويَتْبَعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم، قال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

**القول الثاني:** أن هذا الوعد متَعلق بقوله ( وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ) وذلك يوم أحُد.

وهو قول مجاهد، وعِكْرِمة، والضَّحَّاك، والزهري، وموسى بن عُقبة وغيرهم ، لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فرّوا يومئذ –زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف؛ لقوله ( بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ) فلم يصبروا، بل فروا، فلم يمدوا بملك واحد . ( تفسير ابن كثير ) .

- **قال الرازي** : والحجة عليه من وجوه :

**الحجة الأولى** : أن يوم بدر إنما أمد رسول الله ﷺ بألف من الملائكة قال تعالى في سورة الأنفال ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاستجاب لَكُمْ إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الملائكة ) فكيف يليق ما ذكر فيه ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر .

**الحجة الثانية** : أنه تعالى قال في هذه الآية ( وَيَأْتُوكُم مّن فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاف من الملائكة مُسَومين ) والمراد ويأتوكم أعداؤكم من فورهم ، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء ، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم ، بل هم ذهبوا إلى الأعداء .

- **قال الشنقيطي** : قوله تعالى ( إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يُمدَّكُم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ) الآية، هذه الآية تدل على أنّ المدد يوم بدر من الملائكة من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وقد ذكر تعالى في سورة الأنفال أنّ هذا المدد ألف بقوله ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ) .

والجواب عن هذا من وجهين :

**الأول** : أنه وعدهم بألف ثم صارت ثلاثة آلاف ثم صارت خمسة كما في هذه الآية.

**الثاني** : أن آية الأنفال لم تقتصر على الألف، بل أشارت إلى الزيادة المذكورة في آل عمران، ولا سيما في قراءة نافع ( بألف من الملائكة مردَفين ) بفتح الدال على صيغة اسم المفعول، لأن معنى (مردفين) : متبوعين بغيرهم، وهذا هو الحق، وأما على قول من قال : إن المدد المذكور في آل عمران في يوم أحد، والمذكور في الأنفال في يوم بدر ، فلا إشكال على قوله، إلا أن غزوة أحد لم يأت فيها مدد الملائكة. والجواب : أن إتيان المدد فيها على القول به مشروط بالصبر والتقوى في قوله ( بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ) الآية، ولما لم يصبروا ولم يتقوا لم يأت المدد، وهذا قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم، قاله بن كثير.

( **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا** ) يعني: تصبروا على مُصَابرة عَدُوّكم .

( **وَتَتَّقُوا** ) وتتقوني وتطيعوا أمري.

كما قال تعالى (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

وقال تعالى ( بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ ) .

وقال تعالى ( وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) .

وقال تعالى ( قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) .

**قال ابن تيمية** : فذكر الصبر والتقوى في هذه المواضع الأربعة ، فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور ، والتقوى يدخل فيها فعل المأمور وترك المحظور .

**قال ابن تيمية** : فبين أنه مع الصبر والتقوى يمدهم بالملائكة وينصرهم على أعدائهم الذين يقاتلونهم .

**وقال رحمه الله** :في قوله تعالى ( وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) فبين سبحانه أنه مع التقوى والصبر لا يضر المؤمنين كيد أعدائهم المنافقين .

( **وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا** ) أي : من وجههم هذا ، وقال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح: أي من غضبهم هذا. وقال الضحاك: من غضبهم ووجههم. وقال العَوْفِيّ عن ابن عباس: من سفرهم هذا.

( **يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ** ) أي : معلّمين بالسيما ، أي : بعلامات القتال .

( **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ** ) أي : نزول الملائكة .

( **إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ** ) أي : بشارة لكم .

( **وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ) أي : وتطييباً لقلوبكم وتطميناً .

- **قال الفخر** : أجمع أهل التفسير والسير أن الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وأنهم قاتلوا الكفار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عدداً ومدداً لا يقاتلون ولا يضربون ، وهذا قول الأكثرين .

- **وقال القرطبي** : وتظاهرت الروايات بأنّ الملائكة حضرت يوم بَدر وقاتلت .

- بعض النصوص على شهود الملائكة لغزوة بدر ومباشرتها للقتال .

قال تعالى ( إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ) .

وقال تعالى ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) وهذا في يوم بدر .

عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ . قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ( مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ) رواه البخاري .

( **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ) أي : وإلا فإنما النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال ( ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ. وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ) ، ولهذا قال هاهنا ( وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ) أي: هو ذو العزة التي لا تُرام، والحكمة في قَدره والإحكام.

- **قال القرطبي** : نزول الملائكةِ سبب من أسباب النصر لا يحتاج إليه الرب تعالى ، وإنما يحتاج إليه المخلوق فلْيَعْلَق القلب بالله ولْيَثِق به ، فهو الناصر بسبب وبغير سبب ( إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ) .

لكن أخبر بذلك ليمتثل الخلقُ ما أمرهم به من الأسباب التي قد خلت من قبل (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً)، ولا يَقْدَح ذلك في التوَكُّل.

وهو ردّ على من قال : إن الأسباب إنما سُنّت في حق الضعفاء لا للأقوياء ؛ فإنّ النبيّ ﷺ وأصحابه كانوا الأقوياء وغيرهم هم الضعفاء ؛ وهذا واضِحٌ.

- **قال ابن عاشور** : وجملة (وما النصر إلا من عند الله) تذييل أي كلّ نصر هو من الله لا من الملائكة .

وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنَّهما أولى بالذكر في هذا المقام ، لأنّ العزيز ينصر من يريد نصره ، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يُعطاه .

- **وقال أبو حيان** : قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) حصر كينونة النصر في جهته، لا أنَّ ذلك يكون من تكثير المقاتلة ، ولا من إمداد الملائكة.

وذكر الإمداد بالملائكة تقوية لرجاء النصر لهم ، وتثبيتاً لقلوبهم.

وذكر وصف العزة وهو الوصف الدال على الغلبة ، ووصف الحكمة وهو الوصف الدال على وضع الأشياء مواضعها من : نصرٍ وخذلان وغير ذلك.

- **وقال السعدي** : وفي هذا أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد ، بل يعتمد على الله ، وإنما الأسباب وتوفرها فيها طمأنينة للقلوب وثبات على الخير .

**الفوائد :**

١- ما كان عليه النبي ﷺ من إدخال الأمل في قلوب أصحابه .

٢-إثبات الربوبية الخاصة .

٣-أن موطن الملائكة السماء .

٤- إثبات الملائكة .

٥- أن الصبر والتقوى سبب للنصر .

٦- أن من نعمة الله على العبد أن يكون الذي يتولاه الملائكة .

٧- أن إمداد الشخص بما يعينه سبب لسروره وبشارته .

٨- يجب على المرء – مع فعل الأسباب – أن يعتمد على ربه ، وأن يؤمل النصر منه .

٩- أن النصر والهزيمة تكون على مقتضى حكمة الله .

١٠- إثبات اسمين من أسماء الله وهما : العزيز والحكيم .

١١- أن من أراد العزة فليطلبها من العزيز القدير .

١٢- الاطمئنان لأحكام الله الشرعية والقدرية ، لأنها كلها صادرة عن حكمة .

**( لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) ) .**

[ آل عمران : ١٢٧ – ١٢٨ ] .

----------------

( **لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ) أي: أمركم بالجهاد والجلاد، لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين. فقال: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا) أي: ليهلك أمة (مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فاللام للتعليل، قيل متعلق بقوله (ولقد نصركم الله ببدر) وقيل : متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله) وقيل: متعلق بمحذوف تقديره: فعل ذلك ليقطع طرفاً.

( **أَوْ يَكْبِتَهُمْ** ) أي: يخزيهم ويردهم بغيظهم لَمّا لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال ( أَوْ يَكْبِتَهُمْ ) .

( **فَيَنْقَلِبُوا** ) أي: يرجعوا .

( **خَائِبِينَ** ) أي: لم يحصلوا على ما أَمَّلُوا.

**قال قتادة :** فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار ، وقتل صناديدهم .

● **قال ابن عاشور :** وقد استقرى أحوال الهزيمة فإنّ فريقاً قتلوا فقطع بهم طرف من الكافرين، وفريقاً كبتُوا وانقلبوا خائبين، وفريقاً مَنَّ الله عليهم بالإسلام، فأسلموا، وفريقاً عُذّبوا بالموت على الكفر بعد ذلك، أو عذبوا في الدنيا بالذلّ، والصغار، والأسر، والمنّ عليهم يوم الفتح، بعد أخذ بلدهم و"أو" بين هذه الأفعال للتقسيم.

وهذا القطع والكبت قد مضيا يوم بدر قبل نزول هذه الآية بنحو سنتين، فالتَّعبير عنهما بصيغة المضارع لقصد استحضار الحالة العجيبة في ذلك النصر المبين العزيز النظير.

( **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ) أي: بل الأمر كلّه إلي .

كما قال ( فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ) .

وقال ( لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) .

وقال ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) .

( **أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ) أي: مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة .

( **أَوْ يُعَذِّبَهُمْ** ) أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم؛ ولهذا قال :

( **فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ) أي: يستحقون ذلك.

وهذه الآية لها سبب نزول :

عن ابن عمر . (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وفُلانًا" بعد ما يقول: "سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ) إلى قوله (فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) رواه البخاري

وعن أنس بن مالك ( أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد ، وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم ؟ فأنزل الله ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ )) رواه مسلم .

وروى الترمذي عن ابن عمر قال : وكان النبيّ ﷺ يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عزّ وجلّ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ) فهداهم الله للإسلام .

- **قال القرطبي** : قال علماؤنا: قوله عليه السلام (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم) استبعاد لِتوفيق مَن فَعل ذلك به .

وقوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ) تقريب لما استبعده وإطماع في إسلامهم، ولما أُطْمع في ذلك قال ﷺ (اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

**قال علماؤنا** : فالحاكي في حديث ابن مسعود هو الرسول عليه السلام ، وهو المحكي عنه ؛ بدليل ما قد جاء صريحاً مبيّناً ، أنه عليه السلام لما كُسرت رَباعيته وشُجّ وجهه يوم أُحُد شقّ ذلك على أصحابه شقّاً شديداً وقالوا : لو دعوت عليهما فقال (إني لم أبعث لَعّاناً ولكني بعثت داعِياً ورحمة ، اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) فكأنه عليه السلام أوحي إليه بذلك قبل وقوع قضية أحُد ، ولم يعيّن له ذلك النّبيّ ؛ فلما وقع له ذلك تَعيَّن أنه المعنيُّ بذلك بدليل ما ذكرنا .

ويُبيّنه أيضاً ما قاله عمر له في بعض كلامه : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! لقد دعا نوح على قومه فقال : ( رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً ) الآية ، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا ؛ فقد وُطِئ ظهرك وأدْمي وجهك وكُسِرت رَباعيتك فأبيت أن تقول إلاَّ خيراً ، فقلت ( رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ) .

**الفوائد :**

١- إثبات الحكمة لله تعالى في أفعاله وتشريعاته .

٢- أن الله يسلط المؤمنين على الكافرين ليقطع طرفاً منهم .

٣- أهمية الجهاد في سبيل الله .

٤- بيان الحكمة من قتال الكفار .

٥- أن النبي ﷺ لا يملك شيئاً من الأمر الكوني .

٦- الرد على الذين يتعلقون بالرسول ﷺ في الدعاء والاستغاثة .

٧- أن النبي ﷺ مكلف ، يأمره الله وينهاه .

٨-أن الله قد يتوب على بعض الكفار .

٩- أن الله لا يعذب إلا بذنب .

( **وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)** ) .
[ آل عمران : ١٢٩ ] .

-------------

( **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ) أي : كل ما في السماوات والأرض له سبحانه وتعالى خلقاً وملكاً وتدبيراً . ( تقدم تفسيرها [ ١٠٩ ] ) .

- **قال ابن جرير** : أي أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد ، وخالق جميعه دون آلهة ومعبود .
- **وقال ابن كثير** : إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه ، وتحت قهره وسلطانه .
- **وقال أبو بكر الجزائري** : خلقاً وملكاً وتصرفاً .
- **وقال الرازي** : إن المقصود من هذا تأكيد ما ذكره أولاً من قوله ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْء ) والمعنى أن الأمر إنما يكون لمن له الملك ، وملك السموات والأرض وليس إلا لله تعالى فالأمر في السموات والأرض ليس إلا لله ، وهذا برهان قاطع .
- قوله تعالى (السَّمَاوَاتِ ) هذا جمع ، وقد صرح الله في القرآن بأن السموات سبع كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ) وقال تعالى ( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ) .
- قوله تعالى ( والأرض ) جاء في القرآن التلميح بأنها سبع في قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ) أي في العدد ، وجاءت في السنة التصريح بأنها سبع في قوله ﷺ ( من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أراضين ) متفق عليه .

( **يَغْفِرُ** ) برحمته .

( **لِمَنْ يَشَاءُ** ) من العصاة .

المغفرة : هي ستر الذنب والتجاوز عنه ، فالله تعالى يغفر لمن يشاء من عباده ، وهذه الآية مقيدة بالحكمة ، أي : من اقتضت حكمته أن يغفر له غفر له ، لأن جميع أفعال الله لحكمة ، لأن الفعل لغير حكمة نقص وعبث والله منزه عن كل نقص وعبث .

وأيضاً مقيدة بما عدا الشرك ، فإن الله يقول (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) .

( **وَيُعَذِّبُ** ) بعدله .

( **مَنْ يَشَاءُ** ) من عباده .

يعني أنه ليس لأحد عليه حق يوجب عليه أن يغفر له ، وليس لأحد عليه حق يمنعه من أن يعذبه ، بل الملك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

- **قال الشيخ ابن عثيمين** : وليُعلم أن كل شيء علّقه الله بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة ، أي : أنه ليست مشيئة الله مشيئة مجردة هكذا تأتي عفواً ، لا ، بل هي مشيئة مقرونة بالحكمة ، والدليل على ذلك قوله تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ) فلما بيّن أن مشيئتهم بمشيئة الله بيّن أن ذلك مبني على علم وحكمة .

( **وَاللَّهُ غَفُورٌ** ) غفور لما صدر من عباده من الذنوب ، والإحلال بالآداب .

**و**الغفور اسم من أسماء الله متضمن للمغفرة الواسعة كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ) ، وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ) وقال تعالى ( ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ) .

والمغفرة : هي ستر الذنب عن الخلق ، والتجاوز عن عقوبته ، كما في حديث ابن عمر في المناجاة أن رسول الله ﷺ قال ( يدني المؤمن يوم القيامة من ربه – عز وجل – حتى يضع كنفه – أي ستره ورحمته – فيقرره بذنوبه ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم ، أي ربي ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال الله : سترتها عليك في الدنيا

وأنا أغفرها لك اليوم ). رواه البخاري ومسلم

ومنه سمي المغفر ، وهو البيضة التي توضع على الرأس تستره وتقيه السهام .

- فهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم كما قال تعالى ( إن ربك وسع لمغفرة ) .

وقد تكفل الله بالمغفرة لمن تاب (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ) .

بل من فضله وجود وكرمه أن تعهد بأن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات قال تعالى عن التائبين (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ) .

( **رَحِيمٌ** ) اسم من أسماء الله ، متضمن لصفة الرحمة لله الواسعة كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ) وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ) وقال تعالى ( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنَا يُؤْمِنُونَ ) .

فالله رحيم بعباده حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمبيلات .

- **قال أبو حيان** : قوله تعالى ( والله غفور رحيم ) في هذه الجملة ترجيح لجهة الإحسان والإنعام.

**الفوائد** :

١- بيان عموم ملك الله سبحانه وتعالى .

٢- الرضا بقضاء الله وقدره وعدم الاعتراض ، لأن كل ما في السماوات والأرض ملك له .

٣-إثبات أن السماوات متعددة .

٤-إثبات المغفرة لله لقوله ( يغفر ) وإثبات التعذيب لقوله ( يعذب ) ، ويتفرع لهاتين الفائدتين إثبات تمام سلطانه في ملكه .

٥-إثبات المشيئة لله لقوله ( لمن يشاء ) وقوله ( ويعذب من يشاء ) .

٦-إثبات الاسمين الكريمين من أسماء الله وهما ( الغفور الرحيم ) وإثبات ما تضمنتاه من صفة وهي المغفرة والرحمة .

( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)** ) .

[ آل عمران : ١٣٠ ] .

-------------

( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً** ) يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافاً مضاعفة، كما كانوا يقولون في الجاهلية -إذا حَلّ أجل الدين: إما أن يَقْضِي وإمّا أن يُرْبِي، فإن قضاه وإلا زاده في المدة وزاده الآخر في القَدْر، وهكذا كلّ عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرًا مضاعفاً .

- **قال الرازي** : كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل ، فإذا جاء الأجل ولم يكن المديون واجداً لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الأجل فربما جعله مائتين ، ثم إذا حل الأجل الثاني فعل ذلك ، ثم إلى آجال كثيرة ، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فهذا هو المراد من قوله ( أضعافا مضاعفة ) .

- **وقال ابن عطية** : قوله تعالى (أضعافاً) نصب في موضع الحال ، ومعناه : الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين ، فكان الطالب يقول : أتقضي أم تربي ؟ وقوله ( مضاعفة ) إشارة إلى تكرار التضعيف عاماً بعد عام ، كما كانوا يصنعون ، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه ، ولذلك ذكرت حال التضعيف خاصة ، وقد حرم الله جميع أنواع الربا ، فهذا هو مفهوم الخطاب إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور ، وأيضاً فإن الربا يدخل جميع أنواعه التضعيف والزيادة على وجوه مختلفة من العين أو من التأخير ونحوه .

• **قال الشوكاني** : قوله تعالى (أضعافا مضاعفة) ليس لتقييد النهي لما هو معلوم من تحريم الربا على كل حال ، ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه من العادة التي يعتادونها في الربا ، فإنهم كانوا يربون إلى أجل ، فإذا حل الأجل زادوا في المال مقداراً يتراضون عليه ، ثم يزيدون في أجل الدّين ، فكانوا يفعلون ذلك مرّة بعد مرّة حتى يأخذ المربي أضعاف دينه الذي كان له في الابتداء؛ وأضعافاً حال ، ومضاعفة نعت له .

• **وقال الشيخ ابن عثيمين** : الصحيح أن هذا القيد لا مفهوم له ، لأن هذا بناء على الواقع الغالب ، وما كان كذلك فإنه لا مفهوم له .

• **قال القرطبي** : وإنما خص الربا من بين سائر المعاصي؛ لأنه الذي أذن الله فيه بالحرب في قوله (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) والحرب يؤذِن بالقتل؛ فكأنه يقول : إن لم تتقوا الربا هُزِمتم وقُتلتم.

فأمرهم بترك الربا ؛ لأنه كان معمولاً به عندهم ، والله أعلم .

• قوله تعالى ( لا تأكلوا ) خص الأكل لأنه معظم الأمر ، كما قال ( الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً ) وكما لا يجوز أكل مال اليتيم لا يجوز إتلافه ، ولكنه نبّه بالأكل على ما سواه وكذلك قوله ( وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالكم بَيْنَكُم بالباطل ) .

( **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ) أي : احذروا عقابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، ومن ذلك اجتناب الربا بجميع أشكاله .

( **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ) أي : لأجل أن تفلحوا ، وتفوزوا وتحصلوا على المطلوب ، وهي الجنة غاية المطالب ، وتنجو من المرهوب وهي النار .

فالفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب .

فتقوى الله سبب للفلاح ( وقد تقدم فضائل وثمرات التقوى ) .

• **قال الشنقيطي** : ( لعل ) تأتي في القرآن بمعنيين ، قال بعض العلماء : هي على الترجي ، ولكن الترجي بحسب ما يظهر للناس ، أما الله فهو عالم بما كان فلا يصدق عليه الترجي كقوله لموسى وهارون (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى ) أي : على رجائِكما وعلم بني آدم القاصر ، أما الله فهو عالم أنه لا يذكر ولا يخشى .

**الثاني** : ما قاله بعض العلماء : إن كل (لعل) في القرآن مشتملّة معنى التعليل بمعنى (لأجل) وعليه ف(لعلكم تذكرون) ، لأجل أن تتذكروا وتتعظوا بآياتنا وغرائب صنعنا وعجائبنا .

**الفوائد :**

١- تحريم الربا .

٢- تحريم الربا الجاهلي .

٣- تعظيم شأن الربا وخطره .

٤-أن اجتناب الربا من مقتضيات الإيمان .

٥- أن أكل الربا منقص للإيمان .

**( وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) ) .**

[ آل عمران : ١٣١ ] .

------------

( **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ) أي فخافوا النار واتقوها واحذروها فإنها دار الكافرين ، واجعلوا بينكم وبين عذابها وقاية ، والوقاية من النار تكون بالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر .

- وقد أمر الله باتقائها في آيات كثيرة :

فقال تعالى (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ) .

وقال تعالى (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ) .

وقال تعالى (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ . إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ . نذيراً للبشر ) قال الحسن البصري : والله ما أُنذر العباد بشيء قط أدهى منها .

وقال ﷺ ( اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ) متفق عليه .

واتقاء النار يكون : بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه .

- قوله تعالى ( فاتقوا النار ) ينبغي على المسلم أن يحذر من النار وأن يتقيها كما أمر الله عز وجل .

فقد أمر الله باتقائها كما في هذه الآية .

**وأمر ﷺ بالاستعاذة منها** .كما قال ﷺ ( استعيذوا بالله من عذاب جهنم ) متفق عليه .

وكان ﷺ يقول في صلاته ( اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ) متفق عليه .

ومن صفات عباد الله الخوف منها ،كما قال تعالى ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً )

- هناك أعمال تنجي من النار منها :

**أولاً : الإيمان بالله .**

قال تعالى ( الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ) .

**ثانياً : الصيام .**

قال ﷺ ( الصيام جُنة يستجن به من النار ) رواه أحمد .

وقال ﷺ ( من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً ) متفق عليه .

**ثالثاً : البكاء من خشية الله .**

قال ﷺ ( لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ) رواه الترمذي .

**رابعاً : الاستجارة بالله من النار .**

كما قال ﷺ ( ما سأل أحد الله ثلاثاً إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثاً إلا قالت النار : اللهم أجره مني ) رواه الترمذي .

- وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة رداً على الجَهْمِية ؛ لأن المعدوم لا يكون مُعَداً ، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً .

قال تعالى في الجنة ( أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال تعالى في النار ( أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ومعنى أعدت : هيئت .

وعن أنس . قال : قال رسول الله ﷺ ( وأيم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ؟ قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار ) متفق عليه .

ومنها حديث الكسوف وفيه ( ... إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار ، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ... ) متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمر . أن رسول الله ﷺ قال ( إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ) متفق عليه .

وعن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ ( لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها، ... فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ... الحديث). رواه أبو داود

وفي حديث البراء الطويل في عذاب القبر وفيه ( ... أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من طيبها ويفسح له في قبره مد بصره ) رواه أبو داود .

وعن أسامة . قال : قال رسول الله ﷺ (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) متفق عليه .

والأدلة كثيرة أكتفي بذكر ما مضى .

**الفوائد :**

١- إثبات النار .

٢- وجوب اتقاء النار .

٣- أن أهل النار هم الكافرون .

**( وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ) .**

[ آل عمران:١٣٢ ] .

------------

( **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ) أي : أطيعوا الله والرسول فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، فإن طاعة الرسول طاعة الله قال تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) .

- والطاعة : موافقة الأمر ، فعلاً للمأمور ، وتركاً للمحظور .
- والمراد بالرسول : محمد ﷺ ، لأن الخطاب موجه لهذه الأمة .

( **لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ) أي : لأجل أن ترحمون ، ف( لعل ) هنا للتعليل .

- فطاعة الله وطاعة رسوله سبب للرحمة ، التي بها حصول المطلوب وزوال المكروه .
- **فضائل طاعة الله ورسوله :**

**أولاً** : سبب للرحمة .

قال تعالى (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

**ثانياً** : مع الذين أنعم الله عليهم .

قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ) .

**ثالثاً** : سبب للحياة الحقيقية .

قال تعالى (اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) .

**رابعاً** : سبب للهداية .

قال تعالى (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) .

**الفوائد :**

١- وجوب طاعة الله ورسوله .

٢-أن طاعة الله ورسوله سبب للرحمة .

الأحد ٨ / ١٠ / ١٤٣٣هـ

**( وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ) .**

[ آل عمران : ١٣٣ – ١٣٤ ] .

------------------

( **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ) أي : إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة .

- **قال ابن الجوزي** : ومعنى الآية : بادروا إلى ما يوجب المغفرة .
- **وقال الرازي** : في الكلام حذف والمعنى : وسارعوا إلى ما يوجب مغفرة من ربكم ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات ، فكان هذا أمراً بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات .

وتقديم المغفرة على الجنة لما أن التخلية مقدمة على التحلية .

( **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ** ) تقديره كعرض فحذف المضاف ؛ كقوله ( مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) أي إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، ونظيره في سورة الحديد ( وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السمآء والأرض ) . ( تفسير القرطبي ) .

**قال ابن كثير** : وقد قيل: إن معنى قوله (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ) تنبيها على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجنة (بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) أي: فما ظنك بالظهائر ؟

وقيل: بل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، والشيء المقبَّب والمستدير عَرْضُه كطوله ، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح ( إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الجنة فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ) وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحديد ( سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأرْضِ ) الآية .

- **قال القرطبي** : قوله تعالى ( عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ) واختلف العلماء في تأويله ؛ فقال ابن عباس : تُقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض ؛ فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله.

وهذا قول الجمهور ، وذلك لا ينكر ؛ فإن في حديث أبي ذرّ عن النبي ﷺ ( ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاةٍ من الأرض وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ) فهذه مخلوقات أعظم بكثير جداً من السموات والأرض ، وقدرة الله أعظم من ذلك كله.

- معنى المسارعة إلى الخيرات :

هي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها .

**قال القرطبي** في قوله تعالى (ويسارعون في الخيرات) التي يعملونها مبادرين غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر ثوابهم وقيل يبادرون بالعمل قبل الفوت .

**وقال السعدي** : والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال ، والمبادرة إليها .

**فضائل المسارعة إلى الخيرات :**

**أولاً** : أنها استجابة لله ورسوله .

قال تعالى ( وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وقال تعالى ( وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقال تعالى ( سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ) .

وقال تعالى ( فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ) .

وقال تعالى ( فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون ) .

وقال ﷺ ( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ) رواه مسلم .

وقال ﷺ (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ) رواه مسلم

وقال ﷺ ( التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ ) .

**ثانياً** : أن الله مدح المسارعين بالخيرات وبين أن عاقبتهم الفلاح في الدنيا والنعيم الذي لا يزول في الآخرة .

فقال تعالى في مدح أهل الكتاب الذين يتبعون آيات الله والمسارعين بالخيرات ( يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِين ) .

**ثالثاً** : أن المسارعة في الخيرات من أسباب استجابة الدعاء .

قال تعالى: ( فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) .

**رابعاً** : أن المسارعة في الخيرات من صفات الموحدين الذين هم من خشية ربهم مشفقون .

قال تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون ) .

وقال تعالى بعد ذكره للعديد من الأنبياء ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) .

**خامساً** : أنها دليل على علو الهمة .

قال تعالى ( رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) .

وقال تعالى ( وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ) .

وقال ﷺ ( احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز ) رواه مسلم .

وقال ﷺ ( إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ) رواه البخاري .

**سادساً** : الدخول إلى الجنة :

قال تعالى ( وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ) .

السابقون في الدنيا إلى الخيرات سبقوا في الآخرة إلى الجنات فإن السبق هناك على قدر السبق هنا .

- قود كان الرسول ﷺ صحابته يبادرون للخيرات :

فقد ثبت في البخاري عن عقبة بن الحارث قال ( صليتُ وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر ، فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجَر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، قال : ذكرت شيئاً من تِبْرٍ عندنا ، فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته ) [ التبر : قطع ذهب أو فضة ] .

وعن ربيعة بن كعب قال ( كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : سلني ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود ) رواه مسلم .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ( أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ . فَقَالَ « وَمَا ذَاكَ » . قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلاَ نُعْتِقُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ » . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ مَرَّةً » . قَالَ أَبُو صَالِحٍ فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ) رواه مسلم .

**قال ابن القيم** : ... كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه ، بل يحض بعضهم بعضاً ، وهي نوع من المسابقة ، وقد قال تعالى : ( سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ) .

وعن عبد الله بن عمرو ( أن رجلاً قال : يا رسول الله ! إن المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله ﷺ : قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعط ) رواه أبوداود .

- ومن المسارعة إلى الخيرات التأسف على فواتها ، ومن الأمثلة على ذلك :

**أولاً** : ما جاء في الحديث السابق : حيث كان الفقراء يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم .

**ثانياً** : الحزن على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته .

كما قال تعالى ( ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ) .

**ثالثاً** : التأسف على فعل الطاعة .

فإن ابن عمر لما بلغه حديث ( من شهد الجنازة حتى تدفن فله قيراط ، ومن شهدها حتى يصلى عليها فله قيراطان ) قال : لقد فرطنا في قراريط كثيرة .

- لماذا ينبغي نبادر ونسارع إلى الخيرات ؟

**أولاً** : استجابة لأمر الله ورسوله .

كما في الآيات والأحاديث التي سبقت ، وقد تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ) .

**ثانياً** : قبل حدوث الشواغل من فقر أو موت أو هرم أو.... .

كما في الحديث قال ﷺ ( بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقْراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو موتاً مجهزاً ... ) رواه الترمذي وفيه ضعف .

وفي الحديث قال ﷺ ( اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل مرضك ، وغناك قبل فقرك ، ... ) رواه الحاكم .

فالإنسان اذا انشغل بفقره لا يستطيع أن يؤدي ويسارع للأعمال الصالحات ، وكذا إذا مرض ، فإنه ينشغل بمرضه ، وكذا لا

يدري متى يأتيه الموت ، فالموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل .

**ثالثاً** : قبل الفتن المانعة من العمل .

كما قال ﷺ ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ) رواه مسلم .

فالإنسان ينبغي أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن فينشغل بها ، فتشغله عن التفرغ للعمل الصالح ، كما هو حال كثير من الناس الآن ، وأيضاً العمل الصالحة سبب للنجاة من الفتن ، ولهذا قال ( بادروا بالأعمال – أي الصالحة – فتناً ، أي ، قبل وقوع الفتن ، فالعمل الصالح من إخلاص لله ومتابعة للرسول وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وصلاة وخاصة بالليل وغيره سبب للنجاة من الفتن إذا حدثت وانتشرت ، ولهذا قام النبي ﷺ ليلة من الليل فزعاً وهو يقول : من يوقظ صواحب الحجرات كي يصلين ، ما أنزل الليلة من الفتن ) .

- من أقوال السلف :

قال عمر بن عبد العزيز : إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان كسادها فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير .

وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول : إنا لله ذهب درهمي وهو يذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات .

وقال سعيد بن المسيب : ما تركت الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

وكان سعيد بن جبير يختم القرآن في ليلتين .

وقيل لعمرو بن هانئ : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا ما تخطيء الأصابع .

وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها وكان الليل كله يبكي فتقول له أمه : يا بني قتلت قتيلاً فيقول : أنا أعلم بما صنعت نفسي .

قال الجماني : لما حضرت أبو بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال : لا تبك وأشار إلى زاوية في البيت إنه قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة .

من قدم اليوم شيئاً قدم عليه غداً ، ومن لم يقدم شيئاً قدم على غير شيء ، قيل لبعضهم جمع فلان مالاً ؟ قال : هل جمع عمراً ينفقه فيه ، قالوا : لا ، قال : ما جمع شيئاً .

وقال بعض السلف : اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها .

( **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ) أي : هيئت للمتقين ، الذين اتقوا ربهم بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

وفي هذا فضل عظيم للمتقين ، وأن التقوى سبب لدخول الجنة .

كما قال تعالى ( إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) .

وقال تعالى ( وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) .

وقال تعالى ( وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وفي الحديث قال ﷺ عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال ( تقوى الله وحسن الخلق ) رواه الترمذي .

[ وقد تقدمت فضائل التقوى ] .

ثم ذكر تعالى صفات المتقين فقال :

( **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ** ) أي : في الشدة ولرخاء ، والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، وفي جميع الأحوال كما قال تعالى ( الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

- **قال ابن الجوزي** : ومعنى الآية : أنهم رغبوا في معاملة الله ، فلم يبطرهم الرخاء فينسيهم ، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا .
- **وقال ابن كثير** : والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه ، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر .
- **قال ابن عاشور** : قوله تعالى (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) وكأنّ الجمعَ بينهما هنا لأنّ السرّاء فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضرّاء فيها ملهاة وقلّة مَوجدة.

فملازمة الإنفاق في هذين الحالين تَدلّ على أنّ محبّة نفع الغير بالمال ، الَّذي هو عزيز على النَّفس ، قد صارت لهم خلقاً لا يحجبهم عنه حاجب ولا ينشأ ذلك إلاّ عن نفس طاهرة.

- **قال الرازي** : وإنما افتتح الله بذكر الإنفاق لأنه طاعة شاقة ، ولأنه كان في ذلك الوقت أشرف الطاعات لأجل الحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

( **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ) الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردون غيظهم في أجوافهم .

- **أسباب كظم الغيظ** :

**أولاً** : معرفة الفضل العظيم لمن كظم غيظه .

أ- الفوز بمحبة الله .

قال تعالى ( الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمحْسِنِينَ ) ومرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الدين .

وقال تعالى ( فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ) .

ب-ترك الغضب سبب لدخول الجنة .

عن أبي الدرداء ﷺ قال : (قلت: يا رسول الله! دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال: «لا تغضب! ولك الجنة). رواه الطبراني

ج-المباهاة به على رؤوس الخلائق .

عن معاذ بن أنس . قال : قال ﷺ ( مَن كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره في أي الحور شاء ) رواه أبو داود .

د- زيادة الإيمان .

قال النبي ﷺ (... وما من جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً) رواه ابن ماجه

**قال ابن تيمية** : ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حِلْم عند الغضب ، وجرعة صبر عند المصيبة ؛ وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم ، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم ، والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب ، وإن كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن ، ولهذا يحمرُّ الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة ، ويصفرُّ عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز .

**ثانياً** : الاستعاذة بالله من الشيطان .

قال تعالى ( وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ) .

عن سليمان بن صرد ﷺ قال ( كنت جالساً مع النبي ﷺورجلان يستبان ؛ فأحدهما احمرَّ وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال النبيﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ؛ لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ؛ ذهب عنه ما يجد » فقالوا له : إن النبي ﷺ قال : تعوَّذْ بالله من الشيطان ) متفق عليه .

**ثالثاً** : تغيير الحال .

عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) .

**رابعاً** : ترك المخاصمة والسكوت .

عن ابن عباس . عن النبي ﷺ أنه قال ( علِّموا وبشِّروا ولا تعسروا ، وإذا غضب أحدكم فليسكت ) رواه أحمد .

**قال ابن رجب** : وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب ؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيراً ، من السباب وغيره مما يعظم ضرره ، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده ، وما أحسن قول مورق العجلي رحمه الله : ما امتلأتُ غضباً قط ولا تكلمتُ في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت .

**قال الشيخ عبد الرحمن السعدي** : ومن الأمور النافعة أن تعلم أن أذية الناس لك وخصوصاً في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم ؛ إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها ، وسوغت لها أن تملك مشاعرك ؛ فعند ذلك تضرك كما ضرتهم ؛ فإن أنت لم تصنع لها بالاً ، لم تضرك شيئاً .

**خامساً** : الوضوء .

عن عطية السعدي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ( إن الغضب من الشيطان ؛ وإن الشيطان خُلِقَ من النار ، وإنما تُطْفَأ النار بالماء ؛ فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ) رواه أبو داود .

**سادساً** : الإكثار من ذكر الله .

قال تعالى ( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ) .

فمن اطمأن قلبه بذكر الله تعالى كان أبعد ما يكون عن الغضب .

**سابعاً** : العمل بوصية رسول الله ﷺ .

عن أبي هريرة ( أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني ! قال : « لا تغضب ! » فردد مراراً قال « لا تغضب ) رواه البخاري .

وهنيئاً لمن امتثل هذه الوصية وعمل بها ، ولا شك أنها وصية جامعة مانعة لجميع المسلمين .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى- : « هذا الرجل ظن أنها وصية بأمر جزئي ، وهو يريد أن يوصيه النبي ﷺ بكلام كلي ، ولهذا ردد .

فلما أعاد عليه النبي ﷺ عرف أن هذا كلام جامع ، وهو كذلك ؛ فإن قوله : « لا تغضب » يتضمن أمرين عظيمين :

**أحدهما** : الأمر بفعل الأسباب والتمرن على حسن الخلق والحلم والصبر ، وتوطين النفس على ما يصيب الإنسان من الخلق ، من الأذى القولي والفعلي ؛ فإذا وفق لها العبد ، وورد عليه وارد الغضب ، احتمله بحسن خلقه ، وتلقَّاه بحلمه وصبره ، ومعرفته بحسن عواقبه ؛ فإن الأمر بالشيء أمر به ، وبما لا يتم إلا به ، والنهي عن الشيء أمر بضده ، وأمر بفعل الأسباب التي تعين العبد على اجتناب المنهي عنه ، وهذا منه .

**الثاني** : الأمر بعد الغضب أن لا ينفذ غضبه: فإن الغضب غالباً لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من عدم

تنفيذه .

**ثامناً** : أن تعلم أن القوة في كظم الغيظ ورده .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ( ليس الشديد بالصُّرَعة ؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ) متفق عليه .

**قال ابن القيم** - رحمه الله تعالى - : « أي مالك نفسه أوْلى أن يسمى شديداً من الذي يصرع الرجال .

**وقال ابن تيمية** : ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح ؛ فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد .

وعن أنس ﷺ ( أن النبي ﷺمر بقوم يصطرعون فقال : « ما هذا » ؟ فقالوا : يا رسول الله ! فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أدلكم على مَن هو أشد منه : رجل ظلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه ) .

- **من أقوال السلف في الغضب** :

وقال أحد السلف: إياك والغضب، فإنه يصيرك إلى ذل الاعتذار .

وقال بعضهم: عجباً لمن قيل فيه السوء وهو فيه كيف يغضب!، وعجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح!

وقال مورق العجلي : ما قلت في الغضب شيئاً إلا ندمت عليه في الرضا .

وكان الشعبي ينشد :

ليست الأحلام في حال الرضا        إنما الأحلام في حال الغضب .

وكان ابن عون إذا اشتد غضبه على أحد قال : بارك الله فيك ولم يزد .

وقال الفضيل بن عياض : أنا منذ خمسين سنة أطلب صديقاً إذا غضب لا يكذب عليّ ما أجده .

وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

وقيل لابن المبارك : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة : قال : ترك الغضب .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان قال لعرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟ فقال عرابة : يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل منهم فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه .

وممن اشتهر بالحلم وعدم الغضب الأحنف بن قيس وكان يقال : أحلم من أحنف .

قيل عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة .

( **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ) أي : الذين يعفون عمن أساء لهم .

- **ثمرات العفو** :

**أولاً** : أن فيه استجابة لأمر الله تعالى وطاعة لله ورسوله .

قال تعالى ( فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ) .

وقال تعالى ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ) .

وقال تعالى ( فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

**ثانياً** : وهو يورث العز في الدنيا والآخرة .

قال ﷺ ( وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ) رواه مسلم .

**ثالثاً** : وهو يورث محبة الله عز وجل .

قال تعالى ( الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

**رابعاً** : يجلب الأجر الجزيل من الله تعالى .

قال تعالى ( فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ) .

قال السعدي : وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو ، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به ، فكما يحب أن يعفو الله عنه ، فَلْيَعْفُ عنهم ، وكما يحب أن يسامحه الله ، فليسامحهم ، فإن الجزاء من جنس العمل .

**خامساً** : يوجب عفو الله عن العبد يوم القيامة .

ففي الحديث (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه) متفق عليه .

**سادساً** : وهو من صفات الرسول ﷺ .

كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة ( أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ) رواه البخاري .

**سابعاً** : سبب لمغفرة الذنوب .

قال تعالى ( وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

**ثامناً** : من صفات المتقين .

قال تعالى ( وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

وأعظم سبب يقود للعفو عن الناس ، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته النفيسة (قاعدة في الصبر) الأسباب التي تُعين المسلم على الصبر على أذى الناس قال : الثالث : أنْ يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ) .

- **من أقوال السلف** :

قال عمر : كل الناس في حل مني .

قال الحسن : أفضل أخلاق المؤمن العفو .

وعن أيوب قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم .

وهذا زين العابدين بن علي رضي الله عنه أتت جاريته تصب الماء عليه فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فقالت: والكاظمين الغيظ فقال: كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس قال: عفوت عنك، قالت: والله يحب المحسنين، قال: أنت حرة لوجه الله.

قال ابن حبان : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة! إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سبب لنماءِ الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها.

وقال عمر بن عبد العزيز : أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو في القدرة ، والقصد في الجدة ، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة .

وراحت النفس في العفو: فقد قال أحد الشعراء:

لما عفوت، ولم أحقد على أحدٍ--- أرحت قلبي من غم العداوات

إني أحي عدوي عند رؤيته --- لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه --- كأنما قد حشى قلبي محبات.

أبو الدرداء، سُئل أبو الدرداء – رضي الله عنه – عن أعز الناس؟ قال : الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله .

قال علي : إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه، شكرًا للقدرة عليه .

قال معاوية : عليكم بالحِلْم والاحتمال حتى يُمْكِنُكُمُ الفُرصةُ، فإذا أمكنكم؛ فعليكم بالصفح والإفضال .

قال الحسن : أفضلُ أخلاق المؤمن العفو .

قال سعيد بن المسيب : ما من شيء إلا والله يُحبُّ أن يُعفَى عنه ما لم يكن حداً .

قال الأحنف : إياكم ورأي الأوغاد، قالوا وما رأى الأوغاد؟ قال الذين يرون الصفح والعفو عاراً .

نبينا هو القدوة في العفو عن الناس .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما – قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ؛ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ سيفي صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ) متفق عليه .

وعن عُرْوَةَ بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– زَوْجَ النَّبِيِّ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ؛ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ) متفق عليه .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال ( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ) متفق عليه .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ ( كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جذب جَبْذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ ) متفق عليه .

وعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ ( مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ – عز وجل ) رواه مسلم .

عفو الرسول عن المرأة اليهودية ، روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ( أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ أَلاَ نَقْتُلُهَا؟ قَالَ لاَ، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ) رواه البخاري .

عفو الرسول عن أهل مكة ، لما فتح الرسول مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة، ثُمّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ

فِيكُمْ؟ قَالُوا خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ .

( **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ) الذين يحسنون في معاملتهم مع الله ، ومع الخلق .

وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال، ويدخل فيه الإحسان بالجاه، وبالشفاعة ونحو ذلك، وتعليم العلم النافع، وقضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم، وإزالة شدائدهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم .

ويدخل في ذلك الإحسان في عبادة الله ، إخلاصاً لله تعالى ، ومتابعة للرسول ﷺ ، كما قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) وقال تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) .

فالإحسان في عبادة الله : أن تقوم بالعمل متقناً فيه إخلاصاً ومتابعة .

والإحسان إلى المخلوق : بأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة ، وأن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك .

قال السعدي : والإحسان نوعان:

الإحسان في عبادة الخالق ، والإحسان إلى المخلوق .

فالإحسان في عبادة الخالق : فسرها النبي ﷺبقوله ( أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) .

وأما الإحسان إلى المخلوق : فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده. ( تفسير السعدي )

- وأعظم دافع للإحسان مراقبة الله تعالى ، ولذلك قال النبي ﷺ في تعريفه (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تره فإنه يراك) وسؤال جبريل هذا ليعلم أصحاب النبي ﷺ معنى الإحسان ، وأن إحسان العمل إنما يكون لمن راقب الله وعلم يقينياً أن الله مطلع عليه .

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل .

كما قال تعالى في أول سورة هود (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) . ولم يقل أيكم أكثر عملاً .

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) .

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ) ثم بيّن الحكمة فقال ( لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ) .

فالإحسان : أن يأتي بالعمل حسناً متقناً لا نقص فيه ولا وصم ، وإحسان العمل لا يمكن إلا بمراقبة خالق هذا الكون

- **فضائل الإحسان** :

**أولاً** : أن من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه .

قال تعالى ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) .

**ثانياً** : لهم في الدنيا حسنة .

قال تعالى ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) .

**ثالثاً** : رحمة الله قريبة من المحسنين .

قال تعالى ( إن رحمت الله قريب من المحسنين ) .

**رابعاً** : لهم الجنة ونعيمها .

قال تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) .

**خامساً** : تبشير المحسنين .

قال تعالى ( وبشر المحسنين ) .

**سادساً** : أن الله معهم .

قال تعالى ( وإن الله لمع المحسنين ) .

**سابعاً** : إن الله يحب المحسنين .

قال تعالى : ( وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ) .

**ثامناً** : إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

قال تعالى ( إن الله لا يضيع أجر المحسنين ) .

**تاسعاً** : الإحسان سبب في دخول الجنة .

قال تعالى : ( ... آخذين ما أتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ) .

**عاشراً** : الكافر إذا رأى العذاب تمنى أن لو أحسن في الدنيا .

قال تعالى ( أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ) .

- قال ابن رجب : قوله تعالى ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ) وقد ثبت في "صحيح مسلم" عنِ النَّبيِّ ﷺ تفسيرُ الزّيادةِ بالنّظرِ إلى وجهِ الله – عز وجل – في الجنة ، وهذا مناسبٌ لجعلِه جزاءً لأهلِ الإحسّانِ ؛ لأنَّ الإحسانَ هو أنْ يَعبُدَ المؤمنُ ربّه في الدُّنيا على وجهِ الحُضورِ والمراقبةِ، كأنّه يراهُ بقلبِهِ وينظرُ إليه في حال عبادتِهِ، فكانَ جزاءُ ذلك النَّظرَ إلى الله عياناً في الآخرة، وعكس هذا ما أخبرَ الله تعالى به عَنْ جَزاءِ الكُفَّار في الآخرةِ (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) وجعلَ ذلك جزاءً لحالهم في الدُّنيا، وهو تراكُم الرَّانِ على قُلوبِهم، حتّى حُجِبَتْ عن معرفتِهِ ومُراقبته في الدُّنيا، فكان جزاؤُهم على ذلك أنْ حُجِبوا عن رُؤيته في الآخرة .
- **قال الرازي** : واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه ، أما إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله (الذين يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء والضراء) ويدخل فيه إنفاق العلم، وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات، وأما دفع الضرر عن الغير، فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرى، وهو المراد بكظم الغيظ، وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى (والعافين عَنِ الناس) فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مشتركة في كونها إحسانا إلى الغير ذكر ثوابها فقال (والله يُحِبُّ المحسني ) فان محبة الله للعبد أعم درجات الثواب .

**الفوائد** :

١- الأمر بالمسارعة إلى الخيرات .

٢- أن التخلية قبل التحلية .

٣- أن المغفرة لا تكون إلا من الله .

٤- بيان سعة الجنة .

٥- أن الجنة موجودة الآن .

٦- أن أصحاب الجنة هم المتقون .

٧- فضيلة الإنفاق على كل حال .

٨- الثناء على من أنفق في السراء والضراء .

٩- فضل كظم الغيظ .

١٠- الحث على العفو عن الناس .

١١- إثبات المحبة لله .

١٢- الحث على الإحسان . [ الاثنين : ٩ / ١٠ / ١٤٣٣هـ ] .

**( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) )** .

[ آل عمران : ١٣٥ – ١٣٦ ] .

-----------------

( **وَالَّذِينَ إِذَا** ... ) قيل : هذا معطوف على ( المتقين ) وقيل : هذا استئناف ، وعلى هذا القول فإن هؤلاء صنف آخر .

( **فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** ) اختلف العلماء في المراد بالفاحشة وظلم النفس هنا :

**فقيل** : الفاحشة الزنا ، وظلم النفس ما دونه من النظر واللمسة.

**وقيل** : الفاحشة الزنا ، وظلم النفس سائر المعاصي.

**وقيل** : الفاحشة الكبيرة ، وظلم النفس الصغيرة.

وقد جاء استعمال الفاحشة في القرآن بما قبح من الذنوب :

كالزنا : قال تعالى ( وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ) .

واللواط : قال تعالى ( وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) .

- ونكاح المحارم : قال تعالى ( وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً) .

وظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب .

( **ذَكَرُوا اللَّهَ** ) أي : ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم . ( الطبري ) .

( **فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** ) أي : إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار .

وقد قال ﷺ ( وأتْبع السَّيِّئة الحَسنَة تَمحُها ) .

- **قال ابن رجب** : ولما كان العبدُ مأموراً بالتقوى في السرِّ والعلانية مع أنَّه لابُدَّ أنْ يقع منه أحياناً تفريط في التقوى ، إما بترك بعض المأمورات ، أو بارتكاب بعض المحظورات ، فأمره أنْ يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أنْ يتبعها بالحسنة ، قال الله ( وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ) .

وفي " الصحيحين عن ابنِ مسعود ( أنَّ رجلاً أصاب من امرأة قُبلَةً ، ثم أتى النَّبيَّ ﷺ ، فذكر ذلك له ، فسكت النَّبيُّ ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، فدعاه فقرأها عليه ، فقال رجل : هذا له خاصة ؟ قال : ( بل للناس عامة ) . ( جامع العلوم والحكم ) .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ( إن رجلا أذنب ذَنْبًا، فقال: رب إني أذنبت ذنبا فاغفره. فقال الله عبدي عمل ذنبا، فعلم أن له ربا

يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبا آخر فقال: رب، إني عملت ذنبا فاغفره. فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له رَبا يغفر الذنب وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرَتْ لِعَبْدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخرَ فَقَالَ: رَبِّ، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: عَلِمَ عَبْدَي أَنَّ لَهُ رَبا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ عَمِلَ ذَنَبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ، إِنِّي عَمِلَتُ ذَنَبًا فَاغْفِرْهُ فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: عَبْدِي عَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاء ) متفق عليه .

وعن علي . قال : سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استَحْلفْتُه، فإذا حلف لي صَدقته، وإن أبا بكر ﷺ حَدثني وصدَق أبو بكر –أنه سمع رسول الله ﷺ قال ( ما مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ – الوُضُوءَ –قال مِسْعر: فَيُصَلّي. وقال سفيان: ثم يُصلِّي ركعتين –فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ عز وجَلَّ إلا غَفَرَ له ) رواه الترمذي .

● **قال ابن رجب الحنبلي** : قال عمر بن عبد العزيز : أيها الناس مَن أَلمَّ بذنبٍ فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك في الإصرار عليها .

ومعنى هذا : أن العبد لا بد أن يفعل ما قدِّر عليه من الذنوب ، كما قال النبي ﷺ :كُتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة ... ، ولكن الله جعل للعبد مخرجاً مما وقع فيه من الذنوب ، ومحاه بالتوبة والاستغفار ، فإن فعل فقد تخلص من شر الذنوب ، وإن أصر على الذنب هلك . ( جامع العلوم الحِكَم ) .

وكما يُبغض الله تعالى المعصية ويتوعد عليها بالذنب : فإنه لا يحب أن يقنط عباده من رحمته عز وجل ، وهو يحب أن يستغفره العاصي ويتوب إليه ، ويود الشيطان أن لو يقع يأس وقنوط من العبد العاصي حتى يصده عن التوبة والإنابة .

قيل للحسن البصري : ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ، ثم يستغفر ثم يعود ؟ فقال : ود الشيطان لو ظفر منكم بهذا ، فلا تملُّوا من الاستغفار .

● وفي هذا دليل على أن من أسباب المغفرة الاستغفار .

وقد أمر الله به .

قال تعالى ( وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ) .

وقال تعالى ( وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ) .

ومن أسماء الله : الغفور ، والغفار .

قال تعالى ( نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) .

ومهما عظمت ذنوب الإنسان فإن الله يغفرها لمن تاب .

قال تعالى ( إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ) .

والأنبياء وأهل الفضل يطلبون المغفرة من الله .

قال تعالى عن نوح ( رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) .

وقال الخليل ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) .

وقال موسى ( قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) .

ومدح المستغفرين .

فقال تعالى ( وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ) .

والنبي ﷺ كان يكثر من الاستغفار .

قال ﷺ ( والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ) رواه البخاري .

● وللاستغفار فوائد :

**أولاً** : تكفير السيئات ورفع الدرجات .

قال تعالى ( وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ) .

وفي الحديث القدسي ( قال الله : من يستغفرني فأغفر له .. ) متفق عليه .

وتقدم قوله تعالى في الحديث القدسي ( فاستغفروني أغفر لكم ) رواه مسلم .

**ثانياً** : سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين .

قال تعالى عن نوح أنه قال لقومه ( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ) .

**ثالثاً** : سبب لحصول القوة في البدن .

قال هود لقومه ( وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ) .

**رابعاً** : سبب لدفع المصائب ورفع البلايا .

قال تعالى ( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ) .

**خامساً** : سبب لبياض القلب .

قال ﷺ ( إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ) . رواه أحمد

**من أقوال السلف :**

قال بعض العلماء : طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً .

وكان ابن عمر : يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول : إنكم لم تذنبوا .

وقال قتادة : إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار

ويُروى عن لُقمان عليه السلام أنَّه قال لابنه : يا بنيَّ عَوِّدْ لسانك : اللهمَّ اغفر لي ، فإنَّ لله ساعاتٍ لا يرُدُّ فيها سائلاً .

وقال الحسن : أكثِروا من الاستغفار في بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفي طُرقكم ، وفي أسواقكم ، وفي مجالسكم أينما كُنتم ، فإنَّكم ما تدرون متى تنْزل المغفرة .

● وجوب الاستغفار من الذنوب كلها لقوله ( فاستغفروني أغفر لكم ) .

قال تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .

وقال تعالى ( وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ) .

وقال سبحانه ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ) .

وقال ﷺ ( أني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ) رواه مسلم .

وقال ﷺ ( والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ) رواه البخاري .

والاستغفار يكون على وجهين :

**الوجه الأول** : طلب المغفرة بلفظ : اللهم اغفر لي ، أو أستغفر الله .

**الوجه الثاني** : طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك .

( **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** ) أي : لا يغفرها أحد سواه .

وقد جاء في الصحيحين : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ( أن أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي قَالَ « قُلِ

اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَبِيراً – وَقَالَ قُتَيْبَةُ كَثِيراً – وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمِ ) متفق عليه .

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ( أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ : وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ ... ) رواه مسلم .

- **قال الخازن** : وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له ، وأنه لا مفزع للمذنبين إلاّ إلى فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة إلاّ منه وأنه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة إلاّ منه .
- **وقال النسفي** : وفيه تطييب لنفوس العباد ، وتنشيط للتوبة ، وبعث عليها ، وردع عن اليأس والقنوط ، وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب ، وإشعار بأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم .

( **وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا** ) أي : تابوا من ذنوبهم ، ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستمروا على المعصية ، ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه .

- **قال الطبري** : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : "الإصرار" ، الإقامة على الذنب عامدًا ، وترك التوبة منه.

عن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ( مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّة ) رواه أبو داود .

وعبد الله بن عَمْرو، عن النبي ﷺ أنه قال–وهو على المنبر– ( ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصرون عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُون ) رواه أحمد .

( **وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ) أن من تاب تاب الله عليه .

وقيل : ( وهم يعلمون ) أي يذكرون ذنوبهم فيتوبون منها .

وقيل : ( وَهُمْ يَعْلَمُون ) أني أعاقب على الإصرار.

وقيل : ( وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) أن الإصرار ضار ، وأن تركه خير من التمادِي. ( تفسير القرطبي ) .

( **أُولَئِكَ** ) الموصوفين بتلك الصفات .

( **جَزَاؤُهُمْ** ) ثوابهم على تلك الصفات .

( **مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ** ) أي : ستر لذنوبهم وتجاوز عنها .

( **وَجَنَّاتٌ** ) جمع جنة ، والجنة في لغة العرب : البستان ، لأن أشجاره الملتفة تجن الداخل فيه ، وجاء إطلاق الجنة على البستان في القرآن في قوله (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ) أي البستان ، وفي قوله (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) . وأما في الاصطلاح : فهي الدار التي أعدها الله لأوليائه ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

( **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ) أي من تحت أشجارها ، قال ابن القيم : وهذا يدل على أمور :

**أحدها** : وجود الأنهار فيها . **الثاني** : أنها جارية لا واقفة . **الثالثة** : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا .

- وهذه الأنهار جاء تسميتها في قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ) .

**قال ابن القيم** : فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا .

**فآفة الماء** أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، **وآفة اللبن** أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً ، **وآفة الخمر** كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، **وآفة العسل** عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب سبحانه وتعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو.

( **خَالِدِينَ فِيهَا** ) لا يحولون عنها ، ولا يبغون بها بدلاً ، ولا يغير ما هم فيه من النعيم .

**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ) أي : ونِعْمَ أجر العاملين المغفرة والجنة.

**الفوائد :**

١- أن المتقي لا يكون معصوماً .

٢- انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر .

قال تعالى ( إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ) .

وقال تعالى ( وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ) .

٣- أن ذكر الله سبب للتوبة والرجوع إلى الله .

٤- المبادرة إلى التوبة والاستغفار .

٥- أنه لا يغفر الذنوب إلا الله .

٦- أن الرجل إذا أذنب ثم استغفر غفر الله له ولو تكرر منه الذنب .

٧- توبيخ من أصر على ذنب .

٨- عظم جزاء المتقين .

٩- أن مغفرة الله للمرء من أعظم الثواب .

١٠- عظم الجنات .

**( قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ) .**

[ آل عمران : ١٣٧ – ١٣٨ ] .

-----------------

( **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ** ) يقول تعالى مخاطباً عباده المؤمنين الذين أصيبوا يوم أحد ، وقُتل منهم سبعون ( قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ) أي : قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ، ثم كانت لهم العاقبة لهم والدائرة على الكافرين .

- **قال الرازي** : المراد من الآية : قد انقضت من قبلكم سنن الله تعالى في الأمم السالفة ، واختلفوا في ذلك ، فالأكثرون من المفسرين على أن المراد سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى ( فانظروا كَيْفَ كَانَ عاقبة المكذبين ) وذلك لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ، ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي اللعن في الدنيا والعقاب في

الآخرة عليهم ، فرغب الله تعالى أمة محمد ﷺ في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسله والاعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه .

- **وقال الشوكاني** : والمعنى : سيروا فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، فإنهم خالفوا رسلهم بالحرص على الدنيا ثم انقرضوا فلم يبق من دنياهم التي آثروها أثر ، هذا قول أكثر المفسرين .

- **وقال ابن عاشور** : والمعنى : قد مضت من قبلكم أحوال للأمم ، جارية على طريقة واحدة ، هي عادة الله في الخلق ، وهي أنّ قوّة الظالمين وعتّوهم على الضعفاء أمر زائل ، والعاقبة للمتّقين المحقّين .

( **فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ** ) بأبدانكم وقلوبكم .

( **فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ) فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين، بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم، أفليس في هذا أعظم دليل وأكبر شاهد على صدق ما جاءت الرسل؟ ( تفسير السعدي )

- وقد أمر الله تعالى في آيات كثيرة بالسير في الأرض للاعتبار والاتعاظ :

قال تعالى ( فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ) .

وقال تعالى ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ) .

وقال تعالى ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) .

وقال تعالى ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ) .

- **قال ابن عاشور** : قوله تعالى (فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) أي: المكذّبين برسل ربّهم وأريد النظر في آثارهم ليحصل منه تحقّق ما بلغ من أخبارهم، أو السؤال عن أسباب هلاكهم، وكيف كانوا أولي قوة، وكيف طغوا على المستضعفين، فاستأصلهم الله أو لتطمئنّ نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدةَ عيان، فإنّ للعيان بديع معنى لأنّ بَلَغتهم أخبار المكذّبين، ومن المكذّبين عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأصحاب الرسّ، وكلّهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهدها كثير منهم في أسفارهم . ( تفسير ابن عاشور ) .

- **قال ابن عاشور** : ... فبيّن الله لهم أنّ الله جعل سنّة هذا العامل أن تكون الأحوال فيه سجالاً ومداولة ، وذكّرهم بأحوال الأمم الماضية ، فقال ( قد خلت من قبلكم سنن ) .

والله قادر على نصرهم ، ولكن الحكمة اقتضت ذلك لئلاّ يغترّ من يأتي بعدهم من المسلمين ، فيحسب أنّ النّصر حليفهم.

- **وقال القرطبي** : هذا تسلية من الله تعالى للمؤمنين ، والسُّنَن جمع سُنَّة وهي الطريق المستقيم.

قال مجاهد : المعنى ( قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ) يعني بالهلاك فيمن كذّب قبلكم كعادٍ وثمود.

والعاقبة : آخر الأمر ، وهذا في يوم أُحد.

يقول فأنا أمهلهم وأمْلِي لهم وأستَدْرجهُم حتى يبلغ الكتاب أجله، يعني بنصرة النبيّ ﷺ والمؤمنين وهلاك أعدائهم الكافرين. (تفسير القرطبي)

- **قال ابن عرفة** : السير في الأرض حسّي ومعنوي ، والمعنوي هو النظر في كتب التّاريخ بحيث يحصل للنّاظر العلم بأحوال الأمم ، وما يقرب من العلم ، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لِعجز الإنسان وقصوره .

وإنّما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأنّ في المخاطبين مَن كانوا أمّيين ، ولأنّ المشاهدة تفيد من لم يقرأ علماً

وتقوّي عِلْم من قرأ التَّاريخ أو قصّ عليه.

- **قال ابن عاشور** : وفي الآية دلالة على أهميّة علم التَّاريخ لأنّ فيه فائدة السير في الأرض ، وهي معرفة أخبار الأوائل ، وأسباب صلاح الأمم وفسادها.

( **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ** ) قيل : عنى بقوله ( هذا ) القرآن ، وقيل : إنما أشير بقوله ( هذا ) ، إلى قوله ( قد خلت من قبلكم سُنن فسيروا في الأرض فانظرُوا كيف كان عاقبه المكذبين ) .

قال الطبري : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال : قوله ( هذا ) إشارةٌ إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده ، وحضِّهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم. لأن قوله ( هذا ) ، إشارة إلى حاضر : إما مرئيّ وإما مسموع ، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة.

( **بَيَانٌ لِلنَّاسِ** ) البيانُ : الإيضاح وكشف الحقائق الواقعة .

هذه الآية تدل على أن البيان عام لكل الناس ، لكن جاءت آية تدل على أن البيان خاص بالموقنين كقوله تعالى ( قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ووجه الجمع : أن البيان عام لجميع الخلق، إلا أنه لما كان الانتفاع به خاصا بالموقنين خص في هذه الآية بهم ، لأن ما لا نفع فيه كالعدم ، ونظيرها قوله تعالى ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا) وقوله ( إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْر) الآية، مع أنه منذر للأسود والأحمر، وإنما خص الإنذار بمن يخشى ومن يتبع الذكر لأنه المنتفع به .

( **وَهُدىً** ) الهدى : الإرشاد إلى ما فيه خير النَّاس في الحال والاستقبال .

( **وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ) والموعظة : التحذير والتخويف .

**ووعظ القرآن** : هو وعد ووعيد، وترغيب وترهيب؛ حتى لا يستبد رجاء بصاحبه فيلقيه في أودية الغرور، ولا يحاصر يأس صاحبه فيغلق دونه أبواب الرحمة..

والوعظ هو التذكير بالعواقب لترق القلوب، ومن أوصاف القرآن أنه موعظة ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) قال ابن عطية رحمه الله تعالى: هذه آية خوطب بها جميع العالم، والموعظة: القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق ويوعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز. فما في القرآن من الأوامر والنواهي داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب.

وتأكيداً على أهمية هذه الموعظة نسبها الله تعالى إليه ( مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) لبيان قيمتها وأهميتها، وحث البشر على الاحتفاء بها.. وما ألطف الله تعالى حين عبر عن ذلك بلفظ الربوبية وليس بلفظ الألوهية؛ وذلك لتحبيب قارئ القرآن في مواعظه، وحمله على قبولها ( مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) وذلك أن الرب هو من خلق الإنسان الموعوظ، وصوره في أحسن صوره، وأغدق عليه من رزقه، ودفع عنه ما يضره، وعلمه ما ينفعه، فمن أسدى هذا الخير للإنسان، فحري به أن يكون رحيما به، محسنا إليه، فإذا وعظه فإنما يعظه لمصلحته بدفعه إلى ما ينفعه، ورده عما يضره .

وفي آية أخرى بين سبحانه أن القرآن وما فيه من قصص وأحكام موعظة (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ) وفي آية ثالثة قال تعالى ( وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ) .

وفي آية رابعة أكد سبحانه على أنه إنما يعظنا بالقرآن (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ) وتالله إن موعظته سبحانه لأحسن المواعظ وأبلغها وأوجزها وأحكمها وأرقها وأصدقها وأخلصها وأنصحها وأكثرها تأثيرا في القلوب، وإصلاحا للعباد ( إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ) .

- في تخصيص هذا البيان والهدى والموعظة للمتقين، لأنهم هم المنتفعون به، فكانت هذه الأشياء في حق غير المتقين كالمعدومة ونظيره قوله تعالى (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يخشاها) (إِنَّمَا تُنذِرُ مَّعَ مَنِ اتبع الذكر) (إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء) .

**الفوائد :**

١- سنة الله في هلاك الأمم إذا كذبت .

٢- تسلية هذه الأمة وتحذيرها .

٣- الأمر بالسير في الأرض .

٤- أن عاقبة المكذب لله ورسله الهلاك .